

## تركيز الناجحين



ـ من عادة الفاشلين: اللامبالاة، وعدم الاهتمام، ولهذا يبدو الواحد منهم بطيناً في السمع أو البصر.. فهو لا يسمع الكلام في أوّل مرة، ولا يرى الشيء بوضوح من أوّل نظرة.. ويسبب ذلك يوسف بن زيد شارد الذهن، أو بطيء الفهم، أو أحمق.. "إن" عادة شرود الذهن عقبة في سبيل تقدم الإنسان ونجاحه في الحياة.." ومن دراسة هذه المشكلة بين شبابنا اليوم، ظهر: "أن" 67.1 بالمائة منهم ينتابهم الشرود الذهني.." .

أما الناجحون فمن عاداتهم أنهم يستطيعون جمع شتات حواسهم وتسلیطها على قضية معينة.. كما يفعل الطفل حين يركز حواسه على لعبة بين يديه، ولتكن سيارة أو حجراً، أو قطعة من خشب، وقد يبلغ به التركيز إلى درجة تجعله يكلّم الحجر.. وهذا من الأمور التي دعت الفيلسوف هكسلி إلى الاستنتاج أن "ال الطفل نابغة إلى أن يبلغ العاشرة من العمر.." .

وعن هذا التركيز قد تنبثق طاقات يصعب على الإنسان أن يتصور مدى قوتها.. فشعاع الشمس، مهما كان ضعيفاً، حين يجمع في بؤرة (عدسة لامّة) ويسلط على نقطة واحدة فوق سطح ورقة، أو قطعة قماش، تتضاعف حرارته في تلك النقطة حتى تحرق النسيج فيها.. كما أن" تجميع البخار وحصره في مكان مغلق يجعل قوته هائلة، تدفع القطارات الثقيلة التي تزن العديد من الأطنان.. كذلك هي الطاقات البشرية، مهما بدت ضئيلة، إن تركزت على نقطة واحدة، انبثقت عنها قدرات هائلة تقاد تمنعاً المعجزات أو تحقق المستحيل..

عادة مكتسبة:

يبدو أن" قابلية التركيز موجودة لدى كل" طفل، تثبت عنده وتتبلور بعد العاشرة من عمره، حتى تصبح عادة كأي من العادات التي يحصل عليها الإنسان من طريق الممارسة والمران.. والفرق بين تركيز الطفل وتركيز الرجل الناضج، هو كالفارق بين رسوم الأطفال ورسوم الفنان الإسباني بيكتاسو.. وقد سُئل هذا الأخير يوماً عن ذلك الفرق فأجاب: الفرق بسيط جدّاً.. الطفل يرسم ولا يدرى ماذا يصنع، وأنا أرسم مثله ولكني أدرى ماذا أصنع.

وعادة التركيز، متى أصبحت أداة طيبة في يد الفرد، صارت جزءاً من طبعه، أو ملكرة من ملكاته. والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال.

وقد تتمكن هذه الملكة من نفس الإنسان حتى تجعله يهمل حاجاته الحياتية الأخرى التي يضعها يوينغ.. في المرتبة الأولى، ويضع ما عادها، كالإبداع والعمل الفكري، في المرتبة الثانية.. إذ يرى أن الطاقة النفسية المتاحة للشخصية تستخدم في هدفين عامتين: "في بعضها يستخدم في القيام بالأعمال الضرورية للمحافظة على الحياة وتكاثر النوع، وهذه هي الوظائف الفطرية الغريزية.." .

"وأي طاقة تزيد عن حاجة الغرائز، يمكن استخدامها في النشاطات الثقافية والروحية.." .

والواقع أن الولوع بالعمل والتركيز عليه ينفع عن الكثير من العواطف والغرائز الفطرية.. وما أكثر المبدعين الذين ينسون، في غمرة عملهم الخلق، الحاجات الحياتية كالطعام والشراب.. .

### بين العبقري والأبله:

يروى عن نيوتن أزه حين كان يندمج بالفكرة التي يعالجها، ينسى ما حوله ومن حوله. وقد دعا مرّة بعض الأصدقاء لمشاركته في أكلة دجاج. وفي غمرة تفكيره المركز داخل مختبره، جاء الأصدقاء وانتظروه طويلاً، فلمّا لم يخرج إليهم غادروا البيت بعد أن أكلوا الدجاجات وما معها، ولم يبقوا شيئاً.. أما نيوتن فقد أحس بعد حين بالجوع، وخرج إلى غرفة الطعام فرأى المائدة وعلىها الطعام، فعاد إلى المختبر وهو يكلّم نفسه قائلاً: يظهر أنني أكلت ونسيت!

هذه القصة، وأمثالها، قد لا تحدث للإنسان العادي، لأنّه يوجّه حواسه نحو كلّ شيء بلا تمييز. ولكنه بهذا الأسلوب يبدد نشاطه فلا يستوعب كلّ شيء. يمّر أمام عينيه الكثير من صور الحياة فلا يميّز ولا يركّز، ولا يلتقط إلا القليل التافه. وبذلك يصبح بطيء الفهم ثمّ بليداً.. لهذا تض محل خبراته وتنضاءل.

لذا فأنت تراه "كالأبله الذي يندفع بكلّ ما لديه من طاقة وراء قطعة من الملابس، أو اللهو، بالاندفاع نفسه الذي يتوجه به المفكر نحو النجاح المهني والعمل الخلاق.." .

### قابلية الاختيار:

إنّ هذا المسكين الأبله لا يحسن اختيار الغايات حسب أهميتها.. وهذه الغايات الحياتية كثيراً ما تكون أخطر من قضية تميّز بين قطعة لباس وقطعة فن..

إنّ مرد فشل كثير من أعمال المرء يعود إلى تصرفه الأحمق، إذا لم يحسن اختيار المهم، فيركز عليه بما لديه من طاقة.. ومن عادات الناجحين أنهم يحسنون الاختيار.. فبالمران والممارسة، وبمرور الزمن يحصلون على خبرات تؤهلهم لاختيار الأهم من الغايات، وتثبت فيهم عادة التركيز على ذلك الأهم..

فقابلية الاختيار عادة مكتسبة ثبتت في شخصية الفرد كما ثبتت عادة التركيز.. ولكن الآباء والأمهات يقفون حجر عثرة أمام مثل هذه العادات.. إنّهم يحدّثون من ثبتيتها في عدم إعطاء الطفل الفرصة ليفكر ويعبر بأسلوبه الخاص.. فإذا سأله أحد عن اسمه لم يعطوه الوقت الكافي للإجابة، بل تراهم سبقوه بإعطاء اسمه، وهكذا يتبرعون بالجواب نيابة عنه في كلّ مناسبة، ويحلون له كلّ مشكلة يواجهها .

العقيرية - وهي درجة عالية من النجاح - لا تتهيأ إلا بالتركيز.. بالإضافة إلى عوامل أخرى يوضحها شيفر بقوله: إنّ العقيري هو شخص يلزم أن توفر لديه الفرصة المواتية، والاندفاع الذي يتمتع بالحماسة المتناهية، والانفراد بالغاية المقصودة، وأخيراً القدرة على بذل الجهد..

فمن يرغب أن يكون عقريّاً، ينصحه البروفسور شيفر، بكلّ بساطة، أن يحصل على الأربع الوصفات التي مرّ ذكرها، وبصورة مجتمعة.. والقضية سهلة.. فكلّ واحد منا يملك هذه الوصفات بين الحين والحين، ولكنها لا تأتينا مجتمعة. فقد تتهيأ لنا الفرصة، فتندفع مؤمنين بأنّ كلّ من جدّ وجده.. ولكننا بعد كلّ ذلك، لا نجد شيئاً، إما لعدم وجود القدرة على بذل الجهد، أو لأنّ الغاية المقصودة قد طارت..

فلا عجب إذاً أن يعترض البعض من العلماء على المؤمنين بـ(كلّ من جدّ وجده)، فقد ثبت علمياً "أنّ النجاح في الحياة لا يعتمد على الجد وحده.." لأنّ الجد، أو بذل الجهد، يحتاج، على الأقل، إلى ثلاثة عوامل أخرى.

هذه هي العدة التي يلزم أن تتهيأ في شخصية الفرد لكي تكون عاملًا من عوامل النجاح. وبدون هذه العدة، يكون المتطلب للنجاح، وكأنّه ساع إلى الحرب بغير سلاح..

#### كيف يركّزون:

هنا لك من يعتقدون بأنّ التركيز يحمل من شلّ الحواس الوعائية.. لذا يلجأون إلى المسكريات والمخدرات يغرسون بها حواسهم، لأنّهم، مثل وليم جيمس، يعتبرون أنّ في الكحول "قدرة على إثارة القابليات وشلّ الديدان الماصة للحيوية" .. وبذلك يفسح في المجال للدفء الحقيقي أن يتراكم فيشكّل نوعاً من الخزان الباطني.. وهذا تركيز للنشاطات..!.

يشدّه كولن ولسن هذا التركيز الباطني بما يحمل لدى القدисين، ولكنه يعود فيميز تركيز القديسين والعباقرة بأنّه يحمل نتيجة السيطرة المتممدة على الطاقات الحيوية، لا نتيجة شلّ الحواس.. لأنّ الشيء الذي يبدد الطاقات ويختنق حاليتها، ليس الحواس وإنما العواطف الحادة والحاسنة، والصراعات النفسية، والأهواء غير البناء، فيعمدون على خنقها في أنفسهم..

ولابدّ أنّ القارئ له رأي في الفرق بين التركيز الحاصل من شلّ الحواس، والتركيز الذي يحمل من السيطرة على الطاقات وتوجيهها حسب الإرادة والمشيئة..

صحيح أنّ الكحول يغطي على كثير ما يبدد الحيوانات، من آلام ومتاعب ومخاوف، ولكنه في الوقت نفسه يحرر الإنسان بصورة لانطامية، ويفتح الأبواب إلى أهواء وعواطف غير خلاقة، هي نفسها تساعد على تبديد الحيوانات.. فكم من أمنية لم تتحقق كانت دفيئة فانطلقت الحسرات من أجلها.. وكم من حرمان تجدد البكاء من أجله.. وكم من مشكلة كان النسيان أحسن حل لها، وقد ظهرت بعد شلّ الجهاز العصبي فهدمت ملذات الفرد وهناءاته..▶